أبو القاسم الزعفراني قال انشدني المتنبي لنفسه القطعة التي يقول فيها

وكم من عايب قولاً صحيحاً
وآفته من الفهم السقيم

ولكن تأخذ الآذان منه
على قدر القرايح والعلوم

وانشدني الحسن بن عبد الله قال انشدنا بعض مشايخنا للبحتري

اهز بالشعر اقواماً ذوي سنة
لو انهم ضربوا بالسيف ما شعروا

علي نحت القوافي من مقاطعها
وما علي لهم ان تفهم البقر

فاذا كان نقد الكلام كله صعباً وتمييزه شديداً والوقوف على اختلاف فنونه متعذراً وهذا في كلام الآدمي فما ظنك بكلام رب العالمين قد أرينا لك ان من قدر ان البلاغة في عشرة اوجه من الكلام لا يعرف من البلاغة الا القليل ولا يفطن منها الا اليسير ومن زعم ان البديع يقتصر على ما ذكرنا من قبل عنهم في الشعر فهو متطرف بلى ان كانوا يقولون ان هذه من وجوه البلاغة وغرر البديع واصول اللطيف وان ما يجري مجرى ذلك ويشاكله ملحق بالاصل ومردود على القاعدة فهذا قريب وقد بينا في نظم القرآن ان الجملة تشتمل على بلاغة منفردة والاسلوب يختص بمعنى آخر من الشرف ثم الفواتح والخواتم والمبادي والمثاني والطوالع والمقاطع والوسايط والفواصل ثم الكلام في نظم السور والآيات ثم في تفاصيل التفاصيل ثم في الكثير والقليل ثم الكلام الموشح والمرصع والمفصل والمرصع والمجنس والموشع والمحلى والمكلل والمطوق والمتوج والموزون والخارج عن الوزن والمعتدل في النظم والمتشابه فيه ثم الخروج من فصل الى فصل ووصل الى وصل ومعنى الى معنى ومعنى في معنى والجمع بين المؤتلف والمختلف * والمتفق والمتسق وكثرة التصرف وسلامة القول في ذلك كله

من التعسف وخروجه عن التعمق والتشدق وبعده عن التعمل * والتكلف والالفاظ المفردة والابداع في الحروف والادوات كالابداع في المعاني والكلمات والبسط والقبض والبناء والنقض والاختصار والشرح والتشبيه والوصف وتمييز الابداع من الاتباع كتمييز المطبوع عن المصنوع والقول الواقع عن غير تكلف ولا تعمل وان تتبينه في كل ما تصرف فيه من الانواع انه على سمت شريف ومرقب منيف يبهر اذا اخذ في النوع الربي والامر الشرعي والكلام الالهي الدال على انه يصدر عن عزة الملكوت وشرف الجبروت وما لا يبلغ الوهم مواقعه من حكمة واحكام واحتجاج وتقرير واستشهاد وتقريع واعذار وانذار وتبشير وتحذير وتنبيه وتلويح واشباع وتصريح واشارة ودلالة وتعليم اخلاق زكية واسباب رضية وسياسات جامعة ومواعظ نافعة واوامر صادعة وقصص مفيدة وثناء على الله عز وجل بما هو اهله واوصاف كما يستحقه وتحميد كما يستوجبه واخبار عن كاينات كانت في التأتي صدقت واحاديث عن المؤتنف تحققت ونواه زاجرة عن القبايح والفواحش واباحة الطيبات وتحريم المضار والخبايث وحث على الجميل والاحسان تجد فيه الحكمة وفصل الخطاب مجلوة عليك في منظر بهيج ونظم انيق ومعرض رشيق غير متعاص على الاسماع ولا متلو على الافهام ولا مستنكر في اللفظ ولا متوحش في المنظر غريب في الجنس غير غريب في القبيل ممتلي ماء ونضارة ولطفاً وغضارة يسري السرور ويمر الى مواقعه كما يمر السهم ويضيء كما يضيء الفجر ويزخر كما يزخر البحر طموح العباب جموح على المتناول المنتاب كالروح في البدن والنور المستطير في الافق والغيث الشامل والضياء الباهر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد من توهم ان الشعر يلحظ شأوه بان ضلاله ووضح جهله اذ الشعر سمت قد تناولته الالسن وتداولته القلوب وانثالت عليه الهواجس وضرب الشيطان فيه بسهمه واخذ منه بحظه وما دونه من كلامهم فهو ادنى محلاً واقرب مأخذاً واسهل مطلباً ولذلك قالوا فلان مفحم فاخرجوه مخرج العيب كما قالوا فلان عيي فاوردوه مورد النقص والقرآن كتاب دل على صدق متحمله ورسالة

Copyright © King Saud University